

إشكاليات في القضاء والقدر وتفنيدها في ضوء القرآن والسنة

د. عبد الغني حيدر فارح (*)

المعنى الشرعي للقضاء والقدر هو تقدير الله تعالى الأثنياء في القدم، وعلمه سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة، وكتابه سبحانه كل ذلك في اللوح المحفوظ، ومشيتته ذلك، وحوثها حسب ما قدرت وخلقت له. ويتعلق القضاء بالكليات بينما يتعلق القدر بالجزئيات، ولا يتم إيمان المؤمن إلا بالإيمان بالقضاء والقدر.

تبحث هذه الدراسة في مراتب الإيمان الأربعة، وهي الإيمان بعلمه تعالى الأبدى الأزلي بكل شيء حتى قيام الساعة، وكتابه ذلك في اللوح المحفوظ، ومشيتته تعالى النافذة في كل شيء يتعلق بأفعاله تعالى أو أفعال خلقه، ثم رابعاً أن الله تعالى هو خالق كل شيء صغير أو كبير، ظاهر أو باطن. كذلك تبحث الدراسة في أقسام القدر الخمسة، وهي التقدير العام والبشري والسنوي والعمري واليومي.

يسوق الباحث الأدلة على كل ذلك من القرآن والسنة والكتب السماوية، مبيناً أجماع الرسل عليهم السلام على ذلك واتفق الفطر والعقول السليمة عليه.

(*) أستاذ مشارك، كلية التربية، قسم علوم القرآن، جامعة صنعاء، اليمن.

Abstract

Fate and Destiny in sharia mean Allah's predestinations, and His knowledge of the time when they will take place, and His writing of that on the Preserved Slate, and His will that they take place, and their occurrence as predestined. Fate relates to total matters, while Destiny relates to partial matters; and a Muslim is obligated to believe in all that as an integrate part of Faith. There are four categories to Fate: first, Allah's eternal knowledge of everything; secondly, that He has written on the preserved Slate everything that He has destined to happen; thirdly that everything only takes place according to His will whether it is an action of His or an action of His creatures; and fourthly that Allah is the Creator of everything, be it minute or huge, covert or invert.

The study provides evidence to all this from the divine scriptures, and proves that this is the consensus of all the prophets- pbut- and pure instincts and sound minds.

The study also shows that there are five categories to Destiny; namely general -, human-, annual-, age-, and daily-destinies.

The study also tackles the controversies concerning Fate and Destiny in the light of the glorious Quran and Sunna; and discusses the problem of compulsion and coercion, showing that it is illogical that the servants of Allah be compelled in their actions while Almighty Allah sends His prophets to address them and He holds them countable for their actions. The study also discusses the problem of guidance and aberration, which misguided people hold as their main argument, and demonstrates that scholars have divided guidance into two kinds: first, the guidance of enlightenment and accountability through sending messengers and the revelation of the scriptures; this is called general guidance. The other kind is the guidance of blessing and inspiration and creating in someone the will to act. This second kind is deserved by those who provide its means and meet its conditions.

Finally, the study discusses the problem of those who take destiny as an excuse while not taking any steps to provide the means. The researcher proves that those who take destiny as an excuse practically belie themselves as they do not apply that argument to all the aspects of their lives; for they do their best to collect money, treat illnesses and satisfy hunger, etc.

Finally, we have got to bear in mind that our religion bans the Muslim's failure to adopt the means that lead to realizing his objectives.

المقدمة:

الحمد لله القائل: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ (القمر: 48)، ونصلي ونسلم على رسول الله ﷺ القائل: (إن الله خالق كل صانع وصنعه)⁽¹⁾، وبعد فإن القضاء والقدر من القضايا، التي أثرت في الماضي والحاضر، وخاض فيها الفلاسفة والمفكرون والعلماء والدعاة على حد سواء، لأنها قضية تمس الإنسان ومستقبله في الحياتين: الدنيا والأخرى، وأساس الموضوع: هل الإنسان حر أم مجبر في أفعاله؟ وما يقوم به من أفعال وتصرفات أخضع لقدرته الذاتية أم للقوة العليا التي تسير هذا الوجود، وهو الله سبحانه وتعالى؟ وقد تباينت المواقف بين مؤيد لحرية الإنسان في فعله واختياره ومتبن لمذهب الجبر، ملغ أي أثر للإنسان في أفعاله، وهناك من حاول التوسط بين هذين الموقفين.

ولعلّ السبب الذي دفع إلى البحث في هذه القضية، ما توهمه البعض من تعارض الأدلة سواء النقلية منها أم العقلية.

فقد وردت في الكتاب والسنة نصوص تشير إلى أنّ كل شيء بقدر الله، و تنسب الفعل كله إلى الله تعالى، مما قد يفهم منه أنّ الإنسان مجبر على أفعاله، كقوله تعالى:

﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (الزمر: 62)،

وقوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الصافات: 96)، وقوله أيضاً: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا

أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (التكوير: 29)، وقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينَةٌ﴾ (المدثر: 38).

(1) المستدرک علی الصحیحین، 85/1، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، مجمع الزوائد، 97/7، وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير أحمد بن الكردي وهو ثقة.

ومن الأحاديث قوله ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ لِلجَنَّةِ أَهْلًا، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهَمَّ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلًا، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهَمَّ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ"^(١).

كما وجدت نصوص أخرى تنسب الفعل إلى الإنسان، وتشير إلى أَنَّ لِلإنسان كسباً في فعله، وأثراً في ما يقوم به من أعمال، ومشئئة يصرفها في الفعل وضده، كقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (المدثر:38). وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَلْحَدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ءَأَعْمَلُوا مَا شَاءُوا إِنَّهُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرُونَ﴾ (فصلت:40)، وقوله: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: 7-8)، وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (الكهف:29).

وقد تباينت مواقف العلماء تجاه تلك النصوص: فهناك من أخذ بظاهر الآيات الأولى التي أضافت الفعل إلى الله تعالى، ونفى تبعاً لذلك أي تعلق لقدرة الإنسان بالأفعال، وهؤلاء هم من عرفوا بالجبرية، بينما أخذ آخرون بالآيات التي أضافت الفعل إلى الإنسان، وزعموا أَنَّ الإنسان حر فيما يقوم به من أعمال حرة مطلقاً، وهؤلاء هم من عرفوا بالقدرية، وقد تمسك كل فريق من الفريقين بما يؤيد موقفه من نصوص، وأول الآيات التي تخالف رأيه في القضية، في منهج مخالف تماماً للموقف الذي ينبغي أن يتبع في تناول النصوص القرآنية. وهناك فريق من العلماء حاول الجمع بين الآيات القرآنية الواردة في الموضوع، مع الاختلاف فيما بينهم في النتائج التي توصلوا إليها.

ومما تقدم ذكره تتجلى أهمية البحث في "مشكلة القضاء والقدر وتنفيدها في ضوء القرآن والسنة"، وفق أهداف البحث الآتية: بيان مفهوم القضاء والقدر والعلاقة بينهما،

(١) مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، رقم:2662.

وحكمه وأهميته، وبيان مراتب القدر وأقسامه، وعرض مشكلة القدر كالجبر والإكراه، والهداية والإضلال وتلقيها.

وقد استخدم الباحث المنهج الاستقرائي الاستنباطي لتناسبه مع الموضوع وطبيعته، و اقتضى البحث تقسيمه إلى ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: مفهوم القضاء والقدر، وحكمه وأهميته.

- المبحث الثاني: مراتب القدر وأقسامه.

- المبحث الثالث: مشكلات في القضاء والقدر في ضوء القرآن والسنة.

وخلصت إلى عدد من النتائج من أهمها:

[1] أن المعنى الشرعي للقضاء والقدر: هو تقدير الله تعالى الأشياء في القدم، وعلمه --

سبحانه -- أنها ستقع في أوقات معلومة، وكتابتها -- سبحانه -- لذلك ومشيئته له،

ووقوعها على حسب ما قدرها، وخلقه لها.

[2] قد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر إجبار الله سبحانه وتعالى العبد على

ما قدره وقضاه، وليس الأمر كما يتوهمونه، وإنما معناه الإخبار عن تقدم علم الله

تعالى، بما يكون من اكتسابات العبد، وصدورها عن تقدير منه، وخلقه لها خيرها

وشرها" فعلم الله تعالى سابق لا سائق، فليعلم ذلك، وصلى الله وسلم على سيدنا

محمدًا وعلى آله وصحبه وسلم".

المبحث الأول

مفهوم القضاء والقدر وحكمه وأهميته

أولاً: تعريف القضاء والقدر لغة:

معناه الحكم، والصنع والتقدير، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ

وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِنَّمَا يُبَلِّغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا

وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿ (الإسراء:23)، أي: حكم، وقال تعالى: ﴿فَقَضَيْنَهُنَّ مِمَّا سَنَّ

سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿ (فصلت: 12)، أي: صنعهن وقدرهن فأحسن سبحانه صنعهن. الصنع والتقدير^(١).

وقد ورد القضاء في القرآن بعدة معانٍ، ترجع في مجملها إلى المعاني السابقة، فمن المعاني التي ورد بها:

[1] معنى الفراغ أو الخلق، ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَضَّهِنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (فصلت: 12) أي أكملهن وفرغ من تسويتهن.

[2] معنى الحكم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَأَقْبَضَ بَيْنَهُمُ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الزمر: 75).
ثانياً: القضاء اصطلاحاً: هو الحكم الكلي الإجمالي في الأزل.

ومما تقدم نجد ارتباطاً قوياً بين المعاني اللغوية والمدلول الشرعي والقرآني للقضاء الذي يفيد في مجمله تقديرُ الله تعالى للأمر، وكتابته لذلك، وكونها تجري بحكمة ودقة على حسب ما أَرادها سبحانه وقضاها.

والقدر في اللغة أيضاً: تبيين كمية الشيء بمقدار مخصوص ونظام محدد^(٢)، أما في القرآن الكريم فقد ورد القدر بعدة معانٍ منها:

[1] القضاء والحكم – وهو ما يقدر من الأفعال، ومنه قوله تعالى: "فَأَقْضُ مَا أَنْتَ قَاضٍ"، أي اصنع واحكم وأفعل ما شئت، وأحكم به الأمور.

[2] كما ورد القدر بمعنى تقدير الأشياء جميعها تقديراً سابقاً لخلقها وحدثها من تحديد لصفاتها وكيفياتها وماهياتها، وزمانها وأجلها وجميع ما يقع عليها.

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث 78/4.

(٢) انظر: لسان العرب 74/5، وما بعدها.

فإنه سبحانه وتعالى قدر الخلق كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ (الفرقان: 2)، وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر: 49)، قال ابن حجر - رحمه الله - (إنّ هذه الآية نص في أنّ الله خالق كلّ شيء ومقدره)^(١)، وقال تعالى: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ (الفرقان: 2).

وهكذا يتبين أن خالق جميع ما في الوجود هو الله تعالى، وهو ما يفسره حديث حذيفة رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنّ الله خالق كلّ صانع وصنعتة)^(٢)، وهذا ليس عنراً للكسالى والعجز إذ إنّه لا يتعارض مع إرادة الإنسان واختياره فيما كلفه الله به، كما سيتبين معنا في الفقرات القادمة.

والقدر اصطلاحاً: هو جزئيات ذلك الحكم (الكليات) على سبيل التفصيل في الإنزال^(٣).

قال ابن حجر: إنهما أمران لا يبطل أحدهما عن الآخر، فأحدهما بمنزلة الأساس والآخر بمنزلة البناء^(٤).

وهناك من فرق بينهما كالأشعرة والمازيدية^(٥): فقد ذهب الأشاعرة إلى أنّ القضاء هو: إرادة الله أزلاً المتعلقة بالأنبياء على ما هي عليه فيما لا يزال. فالقضاء عندهم هو الإرادة بحسبان تعلقها بالتحيزي القديم، ومن ثمّ فالقضاء عندهم قديم. أمّا القدر فهو:

(١) فتح الباري، 478/11.

(٢) سبق تخريجه في المقدمة، ص 2.

(٣) انظر: فتح الباري، لابن حجر، 477/11، شرح السيوطي، 270/8.

(٤) انظر: فتح الباري، 509/11.

(٥) العقيدة الإسلامية (2)، أ.د. أحمد الجلي وآخرون، ص 96.

إيجاد الله تعالى لجميع الأشياء على قدر مخصوص، ومقدار معين في نواتها وأحوالها طبقاً للإرادة، ووفقاً لهذا فالقدر عندهم حادث.

أمّا الماتريديّة فقد ذهبوا إلى أنّ القضاء هو: إيجاد الله تعالى الأشياء وإبرازها على الوجه الأكمل. فالقضاء عندهم حادث. أما القدر فهو: علمه تعالى أولاً بما تكون عليه المخلوقات فيما لا يزال، فالقدر عندهم قديم.

وجاء من المعاصرين من جمع بين تلك المذاهب فقال^(١):

القضاء: هو إرادة الله تعالى الأزلية المتعلقة بالأشياء على وفق ما ستوجد عليه في المستقبل كإرادته الأزلية أن يخلق هذا الإنسان على وجه الأرض.

والقدر: هو إيجاد الأشياء على مقاديرها المحدودة بالقضاء، كما إيجاد الله هذا الإنسان فعلاً على وجه الأرض، طبق ما سبق في قضائه. وأقرب مثال على ذلك (العمارة) أول الأمر: يكون هناك التخطيط المسبق لها يعد أنه القضاء، والتنفيذ هو القدر. و**خلاصة القول فيما تقدم:** يكون المعنى الشرعي للقضاء والقدر: هو تقدير الله تعالى الأشياء في القدم، وعلمه سبحانه -أنها ستقع في أوقات معلومة، وكتابته سبحانه- لذلك ومشيئته، ووقوعها على حسب ما قدرها وخلقها لها .

والفرق بينهما: أنّ القضاء يتعلّق بالكليات، بينما القدر بالجزئيات، ويقول الجرجاني عن الفرق بينهما: (إنّ القضاء هو وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة، والقدر وجودها متفرقة في الأعيان بعد حصول شرائطها)^(٢).

ثانياً: حكم الإيمان بالقضاء والقدر: واجب على كلّ مسلم ومسلمة، فهو ركن من أركان الإيمان بدليل ما تقدم من آيات، ومنها: قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (القمر: 49)، وبدليل أحاديث الرسول ﷺ، ومنها: حديث مراتب الدين، عندما سئل النبي

(١) انظر، العقيدة الإسلامية، مصطفى الخن وآخر، ص 459-460.

(٢) كتاب التعريفات، ص 221.

ﷺ عن الإيمان، فقال: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره)^(١)، وحديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، قال: (الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وتؤمن بالجنة والنار والميزان، وتؤمن بالبعث بعد الموت، وتؤمن بالقدر خيره وشره)^(٢)، وعنه أيضاً رضي الله عنه^(٣)، ما يبين أن القدر في علم الله الأزلي، وأنه لا بد من تحققه وإيجاده كما قدر الله، عن رسول الله ﷺ: (إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، قال ربي: وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة)^(٤)، وغيرها من الأحاديث الدالة على وجوب الإيمان بهذا الركن.

وعند دراساتي للآيات والأحاديث المتعلقة بالقضاء والقدر، وما جاء به علماءنا -

رحمهم الله تعالى- فيما تقدم يمكن تسجيل بعض الاستنتاجات، ومن ذلك:

{أ} أن ذكر لفظ القضاء يسبق القدر، وهو ما تلاحظه في ألفاظ الآيات، وكذا أحاديث الرسول ﷺ، وأنه قد يعبر بأحدهما فيراد به الأمران، كحال الإيمان والإسلام إذا افترقا وإذا اجتمعا.

{ب} أن القضاء يتعلق بالكليات، والقدر بالجزئيات.

{ج} أن لفظ (القدر)، أكثر وروداً في الكتاب والسنة من لفظ (القضاء)، وذلك عند الدلالة على وجوب الإيمان بهذا الركن من أركان الإيمان، مثل قوله تعالى: " إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ "، وفي حديث جبريل: " وتؤمن بالقدر خيره وشره ".

{د} أن هذه الآيات المتعلقة بالقضاء والقدر وكذا الأحاديث تنقسم في بيانها إلى قسمين:

(1) تقدم معنا تخريجه.

(2) صحيح ابن حبان، 1/ 398، السنن الصغرى، للبيهقي، ص 24.

(3) وورد أيضاً برواية: ابن عباس رضي الله عنهما.

(4) سبق تخريجه الهامش رقم 1.

* قسم يتعلق بالخلق الإلهي وهو ما يسميه بعضهم، وعلى رأسهم الإمام ابن تيمية (رحمه الله) (الإرادة الكونية القدرية) وهو تفسير وحل للإشكال الذي قد يتوهم: قال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَهْدِهِ يُدْرِكْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعْدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام: 125)، وفي الحديث: عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: (كل شيء بقدر حتى العجز والكيس، أو الكيس والعجز)^(١)، جاء في بيانه: والكيس: بفتح الكاف ضد العجز، ومعناه: الحذق في الأمور، ويتناول أمور الدنيا والآخرة، وفي الحديث: إثبات للقدر، وأنه عام في كل شيء فلا يقع في الوجود إلا ما قدر في الأزل وقد سبق به علم الله ومشيتته^(٢).

* قسم يتعلق بالفعل البشري، وتسمى: (إرادة دينية شرعية)، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة: 185)، وحتى يتحقق في الإنسان سنة الابتلاء والاختبار، وسنة التدافع (المعاركة) أعطى الله الإنسان حرية الاختيار والتصرف، وهو بهذه الحرية لا يخرج عن الدائرة الإلهية الكونية، ولكن إن ارتكب الشر يكون قد خالف أمر ربه فيما يسمى بدائرة الإرادة الشرعية، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (النساء: 79).

الفرق بين الإرادتين:

[1] الإرادة الكونية لأبد من وقوعها، والإرادة الشرعية قد تقع وقد لا تقع.

(1) صحيح مسلم 4/2045، كتاب القدر، باب كل شيء بقدر.

(2) انظر، شرح النووي على صحيح مسلم، 16/205، فتح الباري، 11/478.

- [2] الإرادة الكونية شاملة للخير والشر، والشرعية إنما تكون في الخير والنفع.
- [3] مسؤولية العباد تكون في دائرة الإرادة الشرعية، أما الكونية فلا مسؤولية عليهم فيها.
- [4] الإرادة بالمعنى الكوني جاءت في صورة الشرط مثل قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْكَرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكُمْ بِحَرْفٍ كَلِمَةٍ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (المائدة: 41)، أما الشرعية فقد جاءت في صورة الخبر الصريح إثباتاً ونفيًا مثل قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْكَرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكُمْ بِحَرْفٍ كَلِمَةٍ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (المائدة: 41)

- [5] الإرادة الكونية تعني المشيئة، فهي ليست بالضرورة محبوبة لله، كوقوع الكفر، ومثالها قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (هود: 34)، أما الإرادة الشرعية فإنها تعني المحبة، فهي متعلقة بالمحبيب لله إلا أنها قد تقع وقد لا تقع، وبيئتها قوله

سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ يُمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ (النساء: 27)⁽¹⁾.

ثالثاً: أهمية الإيمان بالقدر:

تتضح أهمية الإيمان بالقدر فيما يأتي:

- [1] كونه ركناً من أركان الإيمان الستة التي لا يكون المؤمن مؤمناً إلا بها، كما تقدم بيان ذلك في حكم الإيمان به.
- [2] أنه موجب لصدق الاعتماد على الله تعالى والتوكل عليه، وتفويض الأمور إليه، مع القيام بالأسباب الصحيحة النافعة، وهو ما تبيين في دائرة الإرادة الكونية، والإرادة الشرعية، وأن كليهما في دائرة الإرادة الإلهية.
- [3] أنه موجب لحصول الطمأنينة للإنسان في حياته كلها، خاصة عندما يبذل ما بوسعه وهو يقين على أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.
- [4] الإيمان بالقدر ينفي إعجاب المرء عند تحقيق أي عمل، وهو كذلك موجب لشكر الله تعالى عند تحقيق المنال.

المبحث الثاني

مراتب القدر⁽²⁾، وأقسامه:

أولاً: العلم:

ويعني الإيمان الجازم بأن الله علم بعلمه الأزلي الأبدي كل شيء جملة وتفصيلاً، أولاً وأبداً ما كان وما يكون من صغير وكبير وباطن وسواء أكان ذلك مما يتعلق بأفعاله أو أقواله، أو بأفعال عباده وأقوالهم وأرزاقهم، وأجالهم، وكل ما يتعلق بكل مخلوقاته. قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ

(1) انظر، اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث، الخميس، ص 24.

(2) انظر، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر، ابن القيم، ص 29، فما بعدها.

تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾ (يونس: 61)، وحديث: قصة المجادلة (خولة بنت ثعلبة) وهي تشتكي لرسول الله ﷺ زوجها (أوس بن الصامت) وقد ظاهر منها، فيسمع الله تعالى حديثها وينزل بشأنها قرآناً يتلى إلى يوم القيامة: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (المجادلة: 1)، وفيه قول عائشة رضي الله عنها: سبحان الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع بعض حديثها ويخفي علي بعضه وهي تشتكي إلى رسول الله ﷺ، زوجها وقد ظاهر منها^(١)، قلت: وكما تدل القصة على صفة السمع، فإنها تدل كذلك على صفة العلم.

ثانياً: الكتابة:

وتعني بأن الله قد كتب ما سبق في علمه في اللوح المحفوظ مقادير خلقه حتى تقوم الساعة، فما من شيء كان ويكون أو سيكون إلا هو في كتاب مقدر قبل أن يكون، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (الحج: 70)، وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (الحديد: 22) وفي الحديث المتقدم ذكره، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: (إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، قال ربي: وماذا اكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة)^(٢)، وفي هذا كله هداية للمؤمن وتثبيت لقلبه ليسلم الله ويستسلم لمقاديره الكونية والشرعية، بعد فعله السبب الذي يقدر عليه، فيعيش بعدها في هذه الدنيا راضياً ومطمئناً مطيعاً لله في مدلهمات الأمور وخطوبها، فأمر يحصل لنا في حياتنا فهو أمر قد كتبه الله تبارك وتعالى لنا أو علينا، ولكن لا ينبغي أن ننظر إلى هذا الأمر من زاوية واحدة وبعين واحدة

(1) انظر، أسباب النزول، للسيوطي، بتحقيق الشيخ، شعيشع، ص 349.

(2) سبق تخريجه في الهامش رقم 1.

فحسب، بل يجب كما يقول الدكتور محسن عبد الحميد⁽¹⁾: أن نضع أنفسنا وجهاً لوجه أمام كتاب الله تعالى لنفهم منه مباشرة دون وساطة من الآراء والفلسفات القديمة، على أن لا نضرب في منهجنا الآيات بعضها ببعض، وإنما نؤمن ونجزم بأن الآيات القرآنية يصدق بعضها بعضاً، فلو جمعنا الآيات التي تخص موضوع القدر، نجد أنها تتحرك في إطار موضوعين، موضوع يخص الخلق الإلهي، وموضوع يتعلق بالفعل البشري، قلت: ففي الأول ليس للإنسان فيه قدرة على فعل شيء وبناءً عليه لا مسؤولية عليه فيه، أما الآخر فهو متعلق بفعل الإنسان، ومن ثمّ فيه السؤال والمناقشة، لأنّ الله أعطاه القدرة أن يفعل، أو لا يفعل كما ميزه بالعقل وزوده بوسائل المعرفة وأرسل إليه الرسل مبشرين ومنذرين، ومنه يتبين أن لا تعارض في فهم الأمر ولا اضطراب.

ثالثاً: المشيئة:

وتعني: الإيمان بمشيئة الله تعالى النافذة في كل شيء سواء أكان مما يتعلق بأفعاله أم يتعلق بأفعال خلقه فلا يقع شيء في الوجود إلا وقد سبق به علم الله ومشيئته⁽²⁾، كما تعني الإيمان بقدرته الشاملة لكل شيء، فما وجد موجود، ولا عدم معدوم من صغير وكبير وظاهر وباطن في السموات والأرض إلا بمشيئته سبحانه وتعالى سواء كان ذلك من فعله تعالى، أم من فعل مخلوقاته، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكُنُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ (فاطر: 44)، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (الإنسان: 30)، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فلا حركة ولا سكون، ولا هداية ولا إضلال إلا بمشيئة الله سبحانه وتعالى، يقول الإمام ابن حجر (رحمه الله): (ومذهب السلف قاطبة أن الأمور كلها بتقدير الله تعالى، كما قال تعالى: "وإن من شيء

(1) انظر، العقائد الإسلامية في ضوء العلم والعقل والوحي، ص 52.

(2) انظر، فتح الباري، ابن حجر، 11/ 478.

إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم⁽¹⁾)، قلت: ولا يعني ذلك نفي قدرة الإنسان التي منحه إياها خالقه تعالى، ومن ثم مسؤوليته فيما يتعلق بدائرة الفعل.

ولكي يتبين ما تقدم أكثر، لننأمل في قول المولى سبحانه: ﴿أَيِنَّمَا تَكُونُوا يَدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّسَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ۗ (النساء: 78 - 79)، فأنت تلاحظ أنّ الآيات تثبت أنّ كلّ ما يجري لهذا الإنسان لم يخرج عن الإرادة الإلهية، ولا ينكر المؤمن ذلك، لكن السؤال يبقى كيف عاودت ونسبت لله، ونسبت لهذا الإنسان؟ وأين هي حدود قدرة الإنسان المترتب عليها الثواب والعقاب يوم القيامة؟ الجواب عن هذا السؤال نأخذه من المفكر والداعية الإسلامي، الدكتور محسن عبد الحميد⁽²⁾، إذ يقول: نعم. كل من عند الله يتحرك داخل سننه، غير أنّك حين أصابتك الحسنة كانت بتوفيق من الله تعالى، وإرساله الرسول ﷺ إليك، وحثه لك على الإقدام على تلك الحسنة، وما أصابك من سيئة لم يكن إلا من نفسك لأنك اخترت السيئة، وليس الله تعالى لأنه سبحانه حذر في كتابه الكريم وعلى لسان رسوله الأمين في آيات كثيرة، وإن كان الإنسان بهذه الحرية لم يخرج من الدائرة الإلهية الكونية، فالله تعالى خلقه، وخلق داعي الخير والشر فيه، ثم إنّه فعل الفعل في إطار مسؤوليته، لأنّ الله تعالى لم يجبره وإنما منحه القدرة على الفعل وعدمه، وحذره من الشر وحبب إليه الخير، وفي هذا الإطار ينبغي أن يفهم قول الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۗ (الإنسان: 30)، وأمثالها من نصوص القرآن، أو الحديث النبوي الشريف الدال على ذلك مثل حديث: ابن عمر رضي الله عنهما،

(1) نفسه، ونفس الجزء والصفحة، والآية، رقم: ((21، سورة الحجر)).

(2) انظر، العقائد الإسلامية، مرجع سابق، ص 54.

قال: قال رسول الله ﷺ: (كل شيء بقدر حتى العجز والكيس)⁽¹⁾، قال ابن حجر: (والكيس: بفتح الكاف ضد العجز، ومعناه: الحنق في الأمور، ويتناول أمور الدنيا والآخرة، ومعناه: أن كل شيء لا يقع في الوجود إلا وقد سبق به علم الله ومشيئته)⁽²⁾.

رابعاً: الخلق:

وتقتضي هذه المرتبة الإيمان بأن الله خالق كل شيء من صغير وكبير وظاهر وباطن، فخلقه شامل لأعيان هذه المخلوقات وصفاتها وما يصدر عنها من أقوال وأفعال، وكل ما سوى الله مخلوق موجود من العدم، كائن بعد أن لم يكن، وقد دلت على هذه المرتبة الكتب السماوية، وأجمع عليها الرسل (عليهم الصلاة والسلام) واتفقت عليها الفطر، والعقول السليمة. ومن هذه الأدلة: قوله تعالى: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَخْذَلْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ (الفرقان:2)، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الصافات:96)، وقوله: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (الزمر:1)، وقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَسْأَلَكُمْ بِكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (المالك:2)، ومن السنة ماروي في خلق أفعال العباد عن حذيفة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله خالق كل صانع وصنعه)⁽³⁾، فأفعال العباد داخلة في عموم خلقه تعالى، فهي من الله خلقاً وإيجاداً وتقديراً، ولكنها من العبد كما يقرر العلماء فعلاً وكسباً، فالله هو الخالق، وهم الفاعلون⁽⁴⁾. وعن عبد الله بن مسعود ؓ، قال: حدثنا رسول الله ﷺ، وهو الصادق المصدوق، فقال: (إن أحكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون بعد ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ

(1) صحيح مسلم 4 / 2045، كتاب القدر، باب كل شيء بقدر.

(2) فتح الباري، 11 / 478.

(3) سبق تخريجه الهامش 1.

(4) انظر، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر، لابن القيم، ص54-55.

فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد، فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها⁽¹⁾، يقول الإمام النووي -رحمه الله- عن الجزء الأخير من الحديث: (إن هذا قد يقع في نادر من الناس لا أنه غالب فيهم ثم إنه من لطف الله تعالى وسعة رحمته انقلاب الناس من الشر إلى الخير في كثرة وأما انقلابهم من الخير إلى الشر ففي غاية الندور ونهاية القلة)⁽²⁾.

إن أمر القدر، وما جاء فيه سر من أسرار الله تعالى، وواجب المسلم أن يقف حيث حدّ له الله فلا يتجاوزه، حتى قيل: إن سر القدر ينكشف للعباد إذا دخلوا الجنة ولا ينكشف قبل دخولها.

قال العلماء: وكتاب الله تعالى، ولوحه وقلمه، والصحف المذكورة في الأحاديث كل ذلك مما يجب الإيمان به. وأما كيفية ذلك، وصفته فعلمها إلى الله تعالى ولا يحيط الناس بشيء من علمه إلا بما شاء، والله أعلم⁽³⁾، ويقصدون بذلك الجانب الخفي من القدر، مثل أن الله أضل وهدى، وأمات وأحيا، ومنع وأعطى، كما جاء في الحديث عنه ﷺ:

(1) صحيح البخاري، 3/ 1174، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، صحيح مسلم، 4/ 2036، كتاب القدر، باب كيفية الخلق الأدمي في بطن أمه.

(2) شرح النووي على صحيح مسلم، 16/ 189.

(3) انظر، نفسه، 16/ 195، 196، 197.

(إذا ذكر القدر فأمسكوا)^(١)، أما ما سوى ذلك، فالقدر ركن من أركان الإيمان التي يجب تعلمها ومعرفة^(٢)، والعمل بمقتضاها.

أقسام القدر: (٣):

وبعد أن تناولت الحديث عن مراتب القدر التي دلّ عليها القرآن والسنة، أتناول أقسام القدر، وهي:

[1] التقدير العام: أي: تقدير الله لجميع الكائنات، ويقصد به: مراتب القدر الأربع التي تقدم ذكرها^(٤)، أي: علمه بها، وكتابه لها، ومشيتته، وخلقها لها، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (الحج: 70).

[2] التقدير البشري: ويقصد به ما قدره الله سبحانه من أهل السعادة وأهل الشقاوة، وذلك حين أخذ الله العهد والميثاق على ذرية بني آدم، وأشهدهم على أنفسهم: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قالوا: بلى. وجاء ذلك في قوله تعالى^(٥): ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧١﴾ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ

(1) اعتقاد أهل السنة، مرجع سابق، 126/1، مجمع الزوائد، 202/7، وقال: رواه الطبراني، وفيه: يزيد بن ربيعة، وهو: ضعيف.

(2) انظر، فقرة حكم الإيمان بالقدر، وكذا أهميته، بداية هذا البحث.

(3) انظر، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر، مرجع سابق، ص 23، فما بعدها.

(4) فمعنى التقدير العام، هو معنى مراتب القدر مجتمعة، ونقدم معنا ذكر معانيها، فراجعها.

(5) انظر، أصول اعتقاد أهل السنة، مرجع سابق، 2 / 560، فما بعدها.

﴿أَفَنهَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (٧٣) وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١﴾
(الأعراف: 172-174)، وقد اختلف العلماء في بيان مفهوم الآية^(١):

— فمنهم من قال: إن المراد بالإشهاد في هذه الآية، هو فطرتهم على التوحيد، فقام ذلك مقام الإشهاد عليهم، كما قال تعالى في السموات والأرض: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَىٰ أَسْمَاءَ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ (فصلت: 11).

— والراجح أن الآية الكريمة تدل على أن المراد بالإشهاد في الآية: الفطر على التوحيد، وهو ما قال به كثير من العلماء^(٢)، وذلك لدلالة خطابها على أن الإشهاد أخذ من الجميع، وقد ذكر الله تعالى الحكمة من هذا الإشهاد، وهي: لئلا يدعوا الغفلة، أو يدعو التقليد، ولا تترتب هاتان الحكمتان إلا على ما قامت به الحجة من الرسل والفطرة، التي جعلها الله من آياته، والآية، هي: الدلالة الواضحة البيّنة المستلزمة لمدلولها، وإثما ذلك بالفطرة الله التي فطر الناس عليها.

[3] التقدير العمري: دل عليه حديث ابن مسعود، قال: سمعت رسول الله يقول: "إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة، بعث الله إليها ملكاً، فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها، قال الملك: يارب: أنكر أم أنثى؟ فيقضي ربك ما شاء، ويثبت الملك، ثم يقول الملك: يارب، أجله، فيقول ربك ما شاء، ويكتب الملك، فيقول: يارب، رزقه، فيقضي ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص^(٣)".

(1) انظر، تهذيب شرح العقيدة الطحاوية، دكتور، صلاح الصاوي، مرجع سابق، ص 176-177، أصول اعتقاد أهل السنة، 2/ 560، فما بعدها.

(2) نفسهما، ونفس المواضع.

(3) صحيح البخاري، 6/ 2433، كتاب القدر، صحيح مسلم، 4/ 2037، كتاب القدر، باب كيفية خلق آدمي، واللفظ له.

[4] التقدير السنوي: دلّ على ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ (الخان:4)، وقد جاء في تفسيرها^(١): قال ابن عباس ؓ، ما، "يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من رزق وموت، وحياة ومطر"، وقال مجاهد وقتادة والحسن: " يكتب فيها ما يكون في السنة من حياة وموت وبسط وخير وشر وغير ذلك"، وقال ابن عمر ؓ، ما، "إلا الشقاوة والسعادة فإنهما لا يتغيران"^(٢) ففي هذه الليلة الفاضلة التي نزل فيها القرآن من بيت العزة إلى السماء الدنيا، وهي: ليلة القدر، يفصل ويميز، ويكتب كل أمر قروي وشرعي حكم الله به، وهي إحدى الكتابات التي تكتب وتميز فتطابق الكتاب الأول الذي كتب الله به مقادير الخلائق، وأجالهم، وأرزاقهم، وأعمالهم، وأموالهم، ثم إنّه تعالى يقدر فيها ما يكون في السنة^(٣).

[5] التقدير اليومي: ويبدل عليه قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (الرحمن:29) جاء في تفسيرها أنّه^(٤): من شأنه أن يعز ويذل، ويرفع ويخفض ويعطي، ويمنع ويغني ويفقر، ويضحك ويبكي ويميت ويحي، إلى غير ذلك مما هو مبين ومبسوط في كتب التفسير. وهكذا يتبين أنّ أقدار الله لا تخرج عن أحد أنواع أقدار الله وأقسامه الخمسة، وهي: التقدير العام، والبشري، والسنوي، والعمرى، وأخيراً التقدير اليومي مما يفهم أن الله تعالى: "لا يسأل عمّا يسأل وهم يسألون".

(1) انظر، تفسير الطبري، 25 / 107 - 109، أصول اعتقاد أهل السنة، مرجع سابق، 2 / 552 - 553،

تفسير ابن كثير، 2/520، 4 / 138.

(2) انظر، أصول اعتقاد أهل السنة، مرجع سابق، 2 / 552 - 553.

(3) انظر، تفسير السعدي، ص 864.

(4) انظر، تفسير القرطبي، 17 / 166، 167.

المبحث الثالث:

مشكلات في القضاء والقدر، وتفنيدها في ضوء القرآن والسنة

أولاً: مشكل الجبر و الإكراه (أعمال الإنسان):

لفظ (جبر) وورودها في مصادر الإسلام من عممه:

كلمة (جبر) لم ترد في الكتاب و لا في السنة، ولكنها راجت وانتشرت في زمن بني أمية، ومع ظهور فرقة الجبرية واستغلال الحكام آنئذٍ مثل هذا الفكر حتى يعللوا للأنفس ما قد يقع عليها من ظلم فلا تسعى في تغييره، ولا يوجد في نصوص الإسلام ما يدل على أن الإنسان مجبر بل النقيض من ذلك، قال تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (الإنسان:3)، قال الأوزاعي (رحمه الله): ما أعرف للجبر أصلاً من القرآن والسنة، فأهاب أن أقول ذلك، ولكن القضاء والقدر والخلق والجل فهذا يعرف في القرآن والحديث عن رسول الله ﷺ. وقال آخر: أمر الله أعظم وقدرته أعظم من أن يجبر أو يعضل، ولكن يقضي ويقدر، ويخلق ويجبل عبده على ما أحبه⁽¹⁾.

إنّ العقل الصحيح يؤكد أن إجبار العباد على تكليفهم، وإرسال الأنبياء إليهم مبشرين ومنذرين محال،س إذ كيف يأمرهم بالإيمان وقد منعهم منه، وينهاهم عن الكفر، وقد حملهم عليه.

ولقد سمى الشيخ محمد الغزالي⁽²⁾ القول بالجبر: كذباً على دين الله، ثم بين جملة من آثاره السيئة على الدين والأمة، فقال: (لقد كان صدق هذه العقيدة الخرافية أن نسمع إلى بعض الجهلة من المتصوفين يرى المنكر أمامه فيهبز كتفيه قائلاً: "وضع العباد فيما أراد"، أو نسمع إلى أحد العصاة وهو يقول لك - حين تنصحه - غداً يهديني الله).

(1) انظر، اعتقاد أهل السنة، للكائي، 2 / 535، السنة، للخلال، 555.

(2) انظر، كتابه: عقيدة المسلم، ص 130.

وقد قسم العلماء (رحمهم الله تعالى)^(١) أعمال الإنسان إلى قسمين:

[1] الأعمال الاضطرارية: ما ينفذ في الناس طوعاً أو كرهاً، سواء أشعر الناس بها أم لم يشعروا، مثل: الذكاء والغباء، والأطوال، والأمزجة، والألوان، والحياة والموت. فأصابع القدر وحدها هي التي تتحرك ظاهرة وباطنة، لتوجه الحياة كما يريد صاحب الحياة، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٢) وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦١﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٦٢﴾ (القصص: 68-70).

وحديث الرسول ﷺ " إنَّ الله إذا أراد قبض عبد بأرض جعل له بها حاجة"^(٣). وهكذا يتبين أن هذه الأعمال لا أثر للإنسان فيها. ومن ثم لا تبنى عليها مسؤولية ولا جزاء، ولا ثواب ولا عقاب.

[2] الأعمال الاختيارية: وهذا القسم الثاني من متعلقات القضاء والقدر يتصل بأعمال الإنسان على نقبض الأولى، فهو يشعر بإرادته فيها وقدرته على مباشرتها من عدمه، كالإيمان والكفر، الطاعة والمعصية، وهو ما يجد في كتاب ربه ما يؤكد من ذلك قول المولى تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (الكهف: 29)، ولكي يتفق القول بحرية الإرادة، والقول بأن الأعمال لا تخرج عن أمر الله وعلمه، يضرب الشيخ الغزالي

(1) انظر، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر، لإبن القيم، ص 29 فما بعدها، عقيدة المسلم، الشيخ، محمد الغزالي، ص 123، فما بعدها.

(2) الأدب المفرد، البخاري، حديث رقم: 780، سنن الترمذي، حديث رقم: 2147.

لذلك مثلاً بيينه⁽¹⁾، فيقول: قف أمام مرآة مجلوة صافية وأنت علبس الوجه مقطب الجبين فماذا ترى؟ ستري صورتك كما هي، والضحك إن كنت مبتسماً ضاحكاً، فما ذنب المرأة في ذلك؟ وكذلك والله المثل الأعلى علمه سبحانه وقدرته الشاملة ترى الأثياء على ما كانت عليه، وعلى ما ستكون عليه، كما يراها وهي كائنة سواء بسواء، يقول الخطابي: "يحسب كثير من الناس أنّ معنى القضاء والقدر يستلزم الجبر وأمر العبد، وليس كذلك، وإنما معناه: الإخبار عن إثبات علم الله الأزلي بما يكون من أفعال العباد وصدورها عن تقدير سابق منه"⁽²⁾، ومما تقدم يتبين أنّ ما خلق الله عليه الإنسان من أحوال وصفات وغيرها من الأعمال التي لا أثر للإنسان فيها لا تدخل فيما يسأل عنه الإنسان، ومن ثم لا تبنى عليها مسؤولية ولا جزاء، ولا ثواب ولا عقاب، وأنّ الذي يدخل في دائرة السؤال فقط هو ما كان من قبيل الأعمال التي كلف بها الإنسان، والله لم يكلف إلا بما يطاق، فليعلم ذلك وليفقه.

ثانياً: مشكلة الهداية والإضلال: احتجاج أهل الضلال، بقوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ

لَهُ سُوءٌ عَمَلِهِ ۖ فَرَأَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۗ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (فاطر: 8)، ويقول: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَزَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۗ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۗ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ﴾ (المدثر: 31).

ولعل هذه المشكلة التي حصلت هي التي دفعت بالمعتزلة إلى اتخاذ موقف

متطرف من هذه القضية، نافرين أن تكون الهداية والإضلال من الله تعالى، بل نسبوا

(1) نفسه، ص 127.

(2) فتح الباري، 11/ 509.

الهداية والضلال إلى العباد زاعمين أن العبد هو الذي يهدي نفسه بخلقه للإيمان، وهو الذي يضلها بخلقه للكفر والضلالة.

– والجواب على هذه المشكلة وأمثالها يوجد في كتاب الله، فالقرآن يفسر بعضه بعضاً، فأيات الإضلال والختم والطبع التي وردت عامة قد خصصتها آيات أخرى، فليس معنى الختم والإضلال: أن الله حال بينهم وبين الهدى، إذ لو صح ذلك لكان حجة على الله أن يقولوا: كيف يدعوننا إلى أمر ثم يحول بيننا وبينه؟ وكيف يعاقبنا عليه وقد منعنا من فعله؟ فالإضلال ليس سبباً للكفر بل هو نتاج له، وعقوبات عليه، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصْرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (المائدة: 51)، يقول الشيخ الغزالي (رحمه الله): إن معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفٰسِقِينَ ﴿٦١﴾ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا ءَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ؕ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ﴾ (البقرة: 26-27)، وكذلك الحال في قول المولى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ ءَانَابَ ﴿٧٧﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: 27-28)، أن الله سبحانه يهدي إليه من أناب: ﴿ذٰلِكَ اَدَّبْنَا اَنْ يٰٓاَتُوْا بِالشَّهَادَةِ عَلٰى وُجُوْهِهَا اَوْ يَخَافُوْا اَنْ تَرُدَّ اٰيْمٰنُهُمْ بَعْدَ اٰيْمٰنِهِمْ وَاَتَقُوا اللَّهَ وَاَسْمَعُوْا وَاللّٰهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفٰسِقِيْنَ﴾ (المائدة: 108)، هذا وقد قسم العلماء الهداية إلى نوعين:

[1] هداية عامة: وهي هداية الإرشاد والبيان للمكلفين، وتتمثل في إرسال الله للرسول، وإنزاله للكتب، وتخصيصه الإنسان بالعقل والفكر الذي يميز به بين الخير والشر، ومدته الإنسان بالقدرة والاختيار التي تمكنه من سلوك طريق الحق أو الضلال، وهي المشار إليها في قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (البلد: 10)، وقوله:

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى: 52)، وقوله: ﴿مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نُزِرُ وَاِزْرَةً وَلَا نُزِرُ وَاِزْرَةً وَلَا نُزِرُ وَاِزْرَةً وَلَا نُزِرُ وَاِزْرَةً وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (الإسراء: 15)، وقوله: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كَمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَاهَمَ خَزَنَتُهَا أَلْمِيَاتُ لَمْ يَنْزِرْنَ نَزِيرًا﴾ (٨) ﴿قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ (الملك: 8-9)، وهذه الهداية عامة للمؤمن والكافر يشترك فيها الناس جميعا، ولكنها لا يلزم عنها هداية التوفيق واتباع الحق، فكثير من الذين أرسل إليهم الرسل وأنزلت عليهم الكتب، لم يؤمنوا وآثروا طرق الغواية: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (النمل: 14)، أي جحدوا بالآيات بعد تيقنهم من صحتها.

[2] أما النوع الثاني: فهي هداية التوفيق والإلهام وخلق المشيئة المستلزمة للفعال:

وهي درجة خاصة لمن أراد الله له الخير والسلامة ممن بذل أسباب استحقاق ذلك، كما تدل النصوص القرآنية. وقد جعل المعتزلة هذا النوع من الهداية بيد الإنسان الذي يضل نفسه ويهديها، كما يقولون، بينما ذهب أهل السنة إلى أن هذه الهداية عون من الله سبحانه وتعالى، يمد به من يراه أهلاً لمثل هذا العون والمدد. قال المولى سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾﴾ (الليل: 5-7)، ومثل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت: 69)، وقال: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ يَقُولُهُمْ﴾ (محمد: 17).

وهكذا حين يعيش المرء مع دين الله: كتاباً وسنة، فإنه لا قلق ولا اضطراب، وإنما القلق والاضطراب في عقول الحمقى، وقلوب الغافلين، فازرع عمرك إن شئت— خيراً، فإن يد القدرة سوف تنميه لك ورداً يانعاً، أو ازرعه إن شئت— شراً، فإن يد

القدرة تنميه شوكة راعاً، ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرِّيَ اللَّهُ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ، وَالْمُؤْمِنُونَ وَسُودُوا إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (التوبة: 105).

ثالثاً: مشكلة الاحتجاج بالقدر، وعدم فعل الأسباب:

[1] مشكلة الاحتجاج بالقدر:

ومن ذلك قول المشركين (قديمًا) في الاعتذار عن ضلالهم فيما حكاه الله عنهم مبيناً زيفه: ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بِأَسْفَافٍ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ (الأنعام: 148)، ألا ليفهم أولئك النيام من أبناء جلدتنا، ليفهم أولئك الكسالى الذين آتاهم الله العزيمة والقدرة، فهانت عزائمهم ووهت قدرهم، وناموا في ظلال الهزيمة والعار، على حين يبرز في الحياة أصحاب الهمم الجبارة والسبق البعيد، ليفهم ذلك الذين ظنوا عقيدة (القضاء والقدر) ثغرة في الإسلام ينفنون منها إلى حماه الكريم و ﴿ وَيَلْجَأُ الْفَاقِرُ إِلَىٰ رَبِّهِ ﴾ (الجناتية: 7).

كما نجد رسول الله ﷺ قد رد في عديد من أحاديثه على بعض الذين تعللوا بالقدر لتبرير ما يقعون فيه من أخطاء، وما يرتكبون من جرائم. ورد عن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ طرده وفاطمة بنت رسول الله ﷺ ليلة فقال لهم: ألا تصلون؟ قال علي: فقلت يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فاتصرف رسول الله ﷺ حين قلت ذلك، ولم يرجع إلي شيئاً، ثم سمعته وهو مدبر يضرب فخذه ويقول⁽¹⁾: ﴿ يَسِّرَ اللَّهُ الرِّجْعَ إِلَيْكُمْ قَدْ صَدَّقَ اللَّهُ الْعَظِيمَ ﴾، ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ (الكهف: 54)، ويفهم من الرواية أن على المرء أن يبذل أسباب الطاعة، وأن لا يجعل من أمر القضاء والقدر عذراً يتعذر به.

(1) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب في المشيئة والإرادة حديث رقم: 7465، 8/190.

وفي عهد عمر رضي الله عنه يروى أن أحد اللصوص سرق فأحضر بين يديه فسأله عمر رضي الله عنه قائلاً: "لم سرقت؟ فقال: قدر الله ذلك. فقال عمر رضي الله عنه: اضربوه ثلاثين سوطاً ثم اقطعوا يده. فقيل له ولم؟ فقال: يقطع لسرقته ويضرب لكذبه على الله. ويقول الخطابي: "قد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر إجبار الله سبحانه وتعالى العبد على ما قدره وقضاه، وليس الأمر كما يتوهمونه، وإنما معناه الإخبار عن تقدم علم الله تعالى، بما يكون من اكتسابات العبد، وصدورها عن تقدير منه، وخلقه لها خيرا وشرها"⁽¹⁾.

ويقول ابن تيمية: "لو كان الاحتجاج (بالقدر)، مقبولاً لقبل من إبليس، وغيره من العصاة، ولو كان القدر حجة للعباد لم يعذب أحد من الخلق، لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولو كان القدر حجة لم تقطع يد سارق، ولا قتل قاتل، ولا أقيم حد على ذي جريمة، ولا جاهد في سبيل الله، ولا أمر بالمعروف، ولا نُهي عن المنكر، وهذا من الفساد في الدين والدنيا المعلوم ضرورة فساده بصريح المعقول المطابق لما جاء به الرسول"⁽²⁾.

وأخيراً فإن المحتج بالقدر يكذب واقعه دعواه، إذ إنّه لا يعجل بالقدر كل أحواله، وإلا لو كان صادقاً في زعمه لرضي بكل ما يقدره الله عليه من فقر وذل وجوع وذهاب مال. والواقع يشهد نقيض ذلك ويؤكد سعيه بكل الوسائل لجمع المال ودفق المرض وإذهاب الجوع... الخ. ولو كان المحتج بالقدر صادقاً في احتجاجه للزم: أن لا ينكر على من يظلمه ويشتمه ويأخذ ماله ويفسد حريمه ويضرب عقه ويهلك الحرث والنسل، وهؤلاء جميعهم كذابون متناقضون. - كما يقول ابن تيمية - فإنّ أحدهم لا يزال ينم هذا، ويبغض هذا، ويخالف هذا، حتى إنّ الذي ينكر عليهم ببغضونه ويعادونه وينكرون عليه. فإن كان القدر حجة لمن فعل المحرمات وترك الواجبات لزمهم أن لا ينموا أحداً ولا يبغضوا أحداً، ولا يقولوا في أحد: إنّه ظالم ولو فعل ما فعل. ومعلوم أنّ هذا لا يمكن لأحد

(1) صحيح مسلم، شرح النووي، 1/154-155.

(2) مجموعة الرسائل والمسائل، ابن تيمية، 5/139.

فعله، ولو فعل الناس هذا لهلك العالم. فتبين أن قولهم فاسد في العقل، كما أنه كفر في الشرع، وأنهم كذابون مفترون في قولهم: إنَّ القدر حجة للعبد"^(١).

[2] عدم فعل الأسباب:

ذهب بعض الناس إلى الاعتقاد بأن كل ما يحدث في الكون إنما يحدث وفق علم الله تعالى وإرادته، وذلك يستلزم عدم العمل، لأن ما يريد الله تعالى سيحدث عمل الإنسان أم لم يعمل، فلا ضرورة إذا للسعي في طلب الرزق ولا للحركة والعمل، وهذا كله في زعمهم ضد التوكل الصحيح. وكذا فهم هؤلاء أن الإيمان بالقدر والتسليم به، يقتضي عدم السعي في تغيير ما أصاب الإنسان من مرض أو فقر أو جهل أو غيره، وكل ما أصاب الإنسان من هذه الآفات هو من قدر الله الذي ينبغي التسليم له.

ولا شك أن هذا نوع من الفهم الخطأ للتوكل على الله، وسلب عاجز مخالف

للكتاب والسنة ويوضح ذلك ما يلي:

[1] إن الأعمال، واتخاذ الأسباب لهي من الأشياء التي أمر بها الإسلام، وحث عليها

القرآن. يقول الله تعالى: ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ، وَالْمُؤْمِنُونَ وَسُرُدُّوهُمْ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَلِيِّ وَالشَّهَادَةَ فَيُنشِئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (التوبة: 105)، وفي آية أخرى يخاطب سبحانه مريم قائلًا: ﴿ وَهَرَىٰ إِلَيْكَ جِذْعُ النَّخْلَةِ فَسَقَطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِينًا ﴾ (مريم: 25)، ويقول مخاطبًا جماعة المؤمنين: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ (الأنفال: 60).

(1) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، 263/8.

وفي الحديث عن علي بن أبي طالب عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وسلم: (ما منكم من أحدٍ إلا وقد كتب مقعده من النار، ومقعده من الجنة، فقالوا: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا، فقال: اعملوا كل ميسر لما خلق له)^(١)، والحديث يدل على منعه صلى الله عليه وسلم لأمته من الاتكال والترك، وأمرهم بامتثال ما يجب عليهم امتثاله مما أمر به الله، وعبوديته عاجلاً، وتفويض الأمر إليه آجلاً^(٢).

وقال الإمام النووي (رحمه الله) عن هذا الحديث وأمثاله: وفي هذه الأحاديث النهي عن ترك العمل، والاتكال على ما سبق به القدر، بل تجب الأعمال والتكاليف التي ورد الشرع بها، وكل ميسر لما خلق له، لا يقدر على غيره^(٣)، مدلاً على صحة قوله، بما جاء أيضاً في كتاب الله، ومنه قول المولى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ جَحَلَ وَاسْتَعْتَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿١٠﴾﴾ (الليل: 5-10)، وهذه الآيات واردة قراءتها من الرسول صلى الله عليه وسلم، عقب قوله الحديث المذكور سابقاً^(٤).

"ففعّل الأسباب من القدر، وفعلها لا يغير من القدر شيئاً، والجمع بين ذلك: أن

الله تبارك وتعالى أمر بفعّل الأسباب، فقال تعالى في أمر هذا الدين والاستقامة عليه: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت: 69)، وقال: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْيُنُهُمْ﴾ (محمد: 1)، وفي الحديث القدسي، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، إن الله قال: "من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده

(1) صحيح البخاري، 4 / 1890، كتاب التفسير، باب فسنييره للعسرى.

(2) فيض القدير، 2 / 13.

(3) شرح النووي على صحيح مسلم، 16 / 196.

(4) الحديث الذي رواه علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وولئن سألتني لأعطينه، ولئن استعازني لأعيدته، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساعته⁽¹⁾، ولك أخي أن تتأمل بعين بصيرتك في هذا الحديث القدسي، لتخرج بما يبين لك الكثير من دروب الحياة، وفي أمر حياتنا الدنيا، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (الملك: 15)، وقد جعل الله في معاش حياة الناس أسباباً تسيير وفقها في نظام قدره ونواميس سنّها، فالسكين سبب في القطع والماء سبب في الحياة، فلا يحدث في الوجود أمر من عدم أو من مصادفة، فأبي سبب أو حدث ربطه الله بالأقدار والنواميس التي يسيير وفقها. يقول أهل العلم: "إن حصول مثل هذه الأشياء لم يقدر حصولها إلا بشروطها"⁽²⁾.

وهذا صريح بأن الإيمان بالقدر لا يعني الاتكال وترك الأسباب، لأن علم الله لا ينكشف لأحد قبل حدوثه حتى يبني عليه الإنسان موقفاً معيناً بأن يفعل أو لا يفعل. وحياء الرسول ﷺ وأصحابه كانت قائمة على الأخذ بالأسباب، وسيرته تشهد بأنه كان يتخذ كل الوسائل والتدابير وأسباب العمل. وقد ظهر رسول الله ﷺ بين درعين يوم أحد، ولم يحضر الصف قط عرياناً كما يفعله من لا علم عنده ولا معرفة. واستأجر دليلاً مشركاً على دين قومه يدلّه على طريق الهجرة، وكان يدخر لأهله قوت سنة، وهو سيد المتوكلين، وكان إذا سافر في جهاد أو حج أو عمرة حمل الزاد والمزاد"⁽³⁾.

ولهذا يذهب ابن القيم إلى: "أن الدين هو إثبات الأسباب، والوقوف معها، والنظر إليها والاتفات إليها، وأنه لا دين إلا بذلك، كما لا حقيقة إلا به فالحقيقة والشريعة مبناهما على إثباتها (أي الأسباب) لا على محوها، ولا ننكر الوقوف معها، فإن الوقوف معها

(1) صحيح البخاري، 5 / 2384، كتاب الرقاق، باب التواضع.

(2) انظر، فيض القدير، 5 / 23.

(3) مدارج السالكين (ابن القيم) 2/134-135.

فرض على كل مسلم، لا يتم إسلامه وإيمانه إلا بذلك (الإيمان)... وبالأَسباب عرف الله وبها عبد الله، وبها أطيع الله، وبها تقرب إليه المتقربون، وبها نال أوليائه رضاه وجواره في جنته، وبها نصر حزبه ودينه، وأقاموا دعوته، وبها أرسل رسله وشرع شرائعه، وبها انقسم الناس إلى سعيد وشقي، ومهتد وغوي، فالوقوف معها، والالتفات إليها، والنظر إليها، هو الواجب شرعاً، كما هو الواقع قدرًا^(١).

إلا أنّ الذي أريد أن أؤكدّه هنا، ونحن متعبدون بفعل الأسباب أن نفعلها وفق هذه المعادلة: يقول الإمام ابن تيمية (رحمه الله): "فالالتفات إلى الأسباب، واعتبارها مؤثرة في المسيبات شرك في التوحيد، ومحو الأسباب نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب المأمور بها قدح في الشرع"^(٢).

لذا يحرم على المسلم ترك الأخذ بالأسباب، فلو ترك إنسان السعي في طلب الرزق لكان آثمًا، مع أنّ الرزق بيد الله، وقل مثل ذلك، لو ترك الأخذ بأسباب دخول الجنة والنجاة من النار، لكان آثمًا عاصياً لله، ولكن ليبقى حاضراً في عقل المؤمن وفكره أنّ الأسباب لا تعطي النتائج إلا بإذن الله سبحانه وتعالى، فالذي خلق الأسباب هو الذي خلق النتائج والثمار. فمن أراد النسل الصالح لابد أن يتخذ لذلك سببه، وهو: الزواج الشرعي، لكنه لا يحقق به المراد إلا إذا أذن الله، قال سبحانه: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ۝٤٩ أَوْ يَزْوِجُهُمْ ذَكَرًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ۝٥٠﴾ (الشورى: 49-50)، وهذا ما قصدناه بالقول: فعل السبب لا يغير من القدر شيئاً.

(1) نفس المصدر، 407/3-408.

(2) مجموع الفتاوى، 8/139، 175، 35/10.

الخاتمة وأهم النتائج

وفي ختام البحث أحمد تعالى على توفيقه، وأشكره على فضله وامتنانه، وأستغفره من الزلل والتقصير في جنبه، فما كان من صحيح البحث فمنه تعالى وحده، وأسأله تعالى قبوله، وما كان غير ذلك فأسأله أن لا يحرمني أجره وإحسانه، على أن أهم النتائج التي يمكن استخلاصها هي على النحو الآتي:

[1] أن المعنى الشرعي للقضاء والقدر: هو تقدير الله تعالى الأشياء في القدم، وعلمه -سبحانه- أنها ستقع في أوقات معلومة، وكتابتها - سبحانه -- لذلك ومشينته له، ووقوعها على حسب ما قدرها وخلقها لها، على أن يدرك أن علم الله سابق لا سائق.

[2] أن أمر القدر وما جاء فيه سر من أسرار الله تعالى، وواجب المسلم أن يقف حيث حدّ له الله فلا يتجاوز، حتى قيل: إن سر القدر ينكشف للعباد إذا دخلوا الجنة ولا ينكشف قبل دخولها.

[3] يتبين من خلال البحث أن كتاب الله تعالى ولوحه وقلمه والصحف المذكورة في الأحاديث كل ذلك مما يجب الإيمان به، وأما كيفية ذلك وصفته فعلمها إلى الله تعالى ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء، ويقصدون بذلك الجانب الخفي من القدر، مثل، أن الله أضل وهدى، وأمات وأحيا، ومنع وأعطى، أما ما سوى ذلك فالقدر ركن من أركان الإيمان التي يجب تعلمها ومعرفة، والعمل بمقتضاها.

[4] إن أقدار الله لا تخرج عن أحد أنواعه وأقسامه الخمسة، وهي: التقدير العام، والبشري، والسنوي، والعمرى، وأخيراً التقدير اليومي.

[5] ما خلق الله عليه الإنسان من أحوال وصفات وغيرها من الأعمال التي لا أثر للإنسان فيها لا تدخل فيما يسأل عنه الإنسان، ومن ثم لا تبنى عليها مسؤولية ولا

جزاء، ولا ثواب ولا عقاب، وأنّ الذي يدخل في دائرة السؤال فقط هو ما كان من قبيل الأعمال التي كُف بها الإنسان، والله لم يكلف إلا بما يطاق، فليعلم ذلك وليفقهه. [6] إنّ العقل الصحيح يؤكد أن إجبار العباد على تكليفهم وإرسال الأنبياء إليهم مبشرين ومنذرين محال إذ كيف يأمرهم بالإيمان، وقد منعهم منه، وبنهاهم عن الكفر، وقد حملهم عليه.

[7] إنّ المحتج بالقدر يكذب واقعه دعواه، إذ إنّه لا يعطل بالقدر كل أحواله، وإلا لو كان صادقاً في زعمه لرضي بكل ما يقدره الله عليه من فقر وذل وجوع وذهاب مال. والواقع يشهد نقبض ذلك ويؤكد سعيه بكل الوسائل لجمع المال، ودفع المرض، وإذهاب الجوع... الخ.

[8] إنّ الأعمال واتخاذ الأسباب لهي من الأثماء التي أمر بها الإسلام وحث عليها القرآن، يقول الله تعالى: ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرِّي اللَّهُ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَلِيِّ وَالشَّهَادَةُ فَيُنْتَكَمُ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (التوبة: 105).

[9] يحرم على المسلم ترك الأخذ بالأسباب، فلو ترك إنسان السعي في طلب الرزق لكان آثماً، مع أنّ الرزق بيد الله، وقل مثل ذلك، لو ترك الأخذ بأسباب دخول الجنة والتّجاة من النار، لكان آثماً عاصياً لله، ولكن ليبقى حاضراً في عقل المؤمن وفكره أنّ الأسباب لا تعطي النتائج إلا بإذن الله.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: المصادر والمراجع العامة:

- [1] أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، (ت، 458هـ)، السنن الكبرى، (مكة المكرمة، مكتبة دار الباز، 1414هـ-1994م)، تحقيق/ محمد عبد القادر عطا.

- [2] أحمد محمد الجلي وآخرون، العقيدة الإسلامية (2)، إصدار جامعة العلوم والتكنولوجيا، اليمن (د.ت.ط).
- [3] ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم الحراني، مجموع الفتاوى، (بيروت، دار المعرفة، ط3، 1386هـ)، تحقيق/ حسين مخلوف.
- [4] الجرجاني، أبو الحسن علي بن محمد بن علي، (ت، 816هـ)، التعريفات، (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 1406هـ -1986م).
- [5] الحاكم، أبو عبد الله محمد بن محمد عبد الله النيسابوري، (ت، 405هـ)، المستدرک علی الصحیحین، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ-1990م)، تحقيق.
- [6] ابن حبان، أبو حاتم محمد بن أحمد التميمي البستي، (ت، 354هـ)، صحيح ابن حبان، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1414هـ - 1993م)، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط.
- [7] ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، (ت، 852هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (بيروت، دار المعرفة، 1379هـ)، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي.
- [8] ابن حنبل، أبو عبد الله، أحمد بن حنبل الشيباني، المسند، (مصر، مؤسسة قرطبة، د.ط.ت).
- [9] الحنبلي، أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد، (ت، 643هـ)، الأحاديث المختارة، (مكة المكرمة، مكتبة النهضة الحديثة، ط1، 1410هـ)، تحقيق/ عبد الملك عبد الله دهيش.

- [10] أبو السعادات، مجد الدين المبارك بن محمد الجزري، (ت، 606هـ)،
النهاية في غريب الحديث والأثر، (بيروت، المكتبة العلمية، د.ط.ت)،
تحقيق/ طاهر أحمد الألوسي، ومحمود محمد الطنطاوي.
- [11] السعدي، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (1376هـ) تيسير
الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (القاهرة، المكتبة التوفيقية،
د.ط.ت)، قدم له، الشيخ / محمد بن صالح العثيمين، تحقيق وتعليق،
مجدي فتحي السيد، مصطفى سنان، راجعه / إبراهيم أمين محمد.
- [12] شرح السيوطي لسنن النسائي، (حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية،
ط2، 1406هـ - 1986م) تحقيق / عبد الفتاح أبو غدة.
- [13] شرح السيوطي لسنن النسائي، لباب النقول في أسباب النزول، (بيروت،
دار إحياء العلوم، د.ط.ت).
- [14] صلاح الصاوي، د، تهذيب شرح العقيدة الطحاوية، (جدة- دار الأندلس
الخضراء، ط2، 1422-2001م).
- [15] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن زيد بن خالد، (ت، 310هـ،
جامع البيان في تأويل آي القرآن، (بيروت، دار الفكر، 1405هـ).
- [16] ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي، (ت، 463هـ)،
التمهيد، (المغرب، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية،
1387هـ)، تحقيق/ مصطفى أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري.
- [17] العجلوني، إسماعيل بن محمد العجلوني الحراني (ت، 1162هـ)، كشف
الخفاء (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط4، 1405هـ)، تحقيق/ أحمد القلاش.

- [18] ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، (ت، 751هـ)،
شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر، (بيروت، دار الفكر، 1398هـ)،
محمد بدر الدين الحلبي.
- [19] الكناني، أحمد بن أبي بكر، (ت، 840هـ)، مصباح الزجاجاة، (بيروت،
دار العربية، ط2، 1403هـ)، المحقق/ محمد المتقي الكشناوي.
- [20] ابن منظور، محمد بن مكرم الأفرقي المصري، (ت، 721هـ)، لسان
العرب، بيروت، دار صادر، ط1، د/ت).
- [21] الهيثمي، أبو الحسن علي بن أبي بكر، (ت، 807هـ)، مجمع الزوائد ومنبع
الفوائد، (القاهرة-بيروت، دار الريان للتراث - دار الكتاب العربي، 1407هـ).